



منصة تعليمي PLATEFORME TAALIMI

28/04/2020



TAALIMI



المستوى	5LM 5LO	Niveau
المادة	اللغة العربية	Discipline
الفصل	مع أبي ذؤيب الهذلي	Chapitre
الدرس	نص من رسالة الغفران لأبي العلاء المعري	Leçon
مخطط الدرس		Plan du cours
إعداد		Elaboré par
تزكية		Validé par



الدرس COURS

مع أبي ذؤيب الهذلي
نص من رسالة الغفران
لأبي العلاء المعري

وينصرف مولاي الشيخ وصاحبه عدي، فإذا هما برجل يحتلب ناقة في إناء من ذهب، فيقولان: مَنْ الجَل ؟ فيقول: أبو ذؤيب الهذلي. فيقولان: حبيبت وسعدت، لا شقيت في عيشك ولا بعدت، أحتلب مع أنهار من لبن؟ كأن ذلك من الغَبْن! فيقول: لا بأس، إنما خطر لي ذلك مثلما خطر لكما القنص، وإني ذكرت قولي في الدهر الأول:

وإن حديثاً منك لو تعلمينه جَنَى النحل في ألبانِ عو ذ مطافِلِ
مطافيل أبكار حديث ننا جها تشاب بماء مثل ماء المفاصلِ

فقيض اله بقدرته لي هذه الناقة عائداً مطفلاً، وكان بالنعم متكفلاً، فقمت أحتلب على العادة وأريد أن أشوب ذلك بضرب نحل تبعن في الجنة طريقة الفحل

فإذا امتلأ إناؤه من الرسل كَوْن البارئ — جلت عظمتة — خلية من الجوهر رتع ثَوُل ها في الزهر، فاجتني ذلك أبو ذؤيب ومزج حليبه بلّ ريب، فيقول: ألا تشربان؟ فيجرعان من ذلك المَحْلَب جر عا لو فرقت على أهل سقر لفازوا بالخلد شرعا. فيقول عدي: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتْلُمُ الْجَنَّةَ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

تعريف

أبو العلاء المعري (363 - 449 هجرية)

هو أحمد بن عبد اله بن سليمان التتوخي المعري نسبة إلى معرة النعمان في سوريا الحالية. نشأ في بيت علم وقضاء. أصيب بالجذري في طفولته، وفقد بصره وهو في الرابعة من عمره. لكنه كان حافظاً ذكياً. ذهب لطلب العلم في حلب وأنطاكية وبغداد، واستطاع استيعاب أهم معارف عصره في ميادين شتى، وقد برع خاصة في الأدب شعراً ونثراً. بعد عودته من بغداد على أثر بلوغه خبر موت والدته، حبس نفسه في بيته بالمعرة لا يغادره وتسمى برهين المحبسين، منكبا على التأليف والتدريس. عاش حياة زاهدة وحرّم على نفسه كل ملذات الحياة، مكتفياً بما يسد الرمق، مخصصاً ما يتبقى من ريع غلة أرضه التي كان يعيش منها للإنفاق على طلب العلم. تشيع في أدبه الشعري والنثري نزعة تشاؤم تعتبر الحياة عبثاً لا طائل من وراءه. من أشهر مؤلفاته: ديوانه اللزوميات، الفصول والغايات ورسالة الغفران التي منها النص. وقد كتبها للرد على رسالة وجهها له علي بن منصور المعروف بابن القارح. والجزء الأول من الرسالة عبارة عن قصة متخيلة تدور أحداثها في العالم الآخر بين المحشر والجنة والنار، وقد جعل من ابن القارح شخصيتها الرئيسية ومنها اقتطف النص. وتغلب على الرسالة عموماً الشخصيات والقضايا الأدبية.

شرح في المعجم والأعلام

مولاي الشيخ: المقصود ابن القارح

عدي: هو عدي بن زيد العبادي، شاعر ورجل دولة جاهلي كان وزيراً للمنادرة ومقرباً من أكاسرة فارس.
أبو ذؤيب الهذلي: شاعر مخضرم جاهلي أدرك الإسلام، من أشهر شعره عينيته التي يرثي فيها أبناءه الذين استشهدوا في معارك الفتوحات الإسلامية.

الغبين: الحمق وضعف الرأي
ضرب نحل: الضرب بفتح الراء وسكونها العسل الأبيض الغليظ
عوذ: جمع عائد وهي الناقة حديثة الولادة
مطفل: أي ذات طفل أي ولد.
المفاصل: جمع مَفَصِل هو ما بين الجبلين من رمل وحصى صغار فيكون مأوه صافيا عذبا.

الرَّسْل: اللبن
ثولها: الثول جماعة النحل
شَرَ عا: الشرع المثل، ويقال هم في هذا شرع أي سواء.
سقر: من أسماء النار

تأطير النص

مع أن النص ينتمي حسب العنوان إلى فن الترسل القديم الذي كان شائعا بل مزدهرا في عصر الكاتب، إلا أن رسالة الغفران تتكون من جزأين يتخذ الجزء الأول منهما شكل قصة يتخيل فيها أبو العلاء مراسله الشيخ ابن القارح في العالم الآخر وقد دخل الجنة ويجعله يعيش رحلة متخيلة يتعرض فيها للكثير من المسائل الأدبية واللغوية والدينية والفلسفية...
والنص الذي بين أيدينا ينتمي إلى الفن القصصي القديم، وفيه يقف ابن القارح صحبة أحد الشعراء الذين لقيهم في الجنة على شاعر آخر هو أبو نؤيب الهذلي.

أركان القصة كما تظهر في النص.
المكان هو الجنة، هو مكان خيالي لا تحكمه قوانين الواقع(محلّب من ذهب، خلية نحل تتشكل فجأة من الجوهر) والمكان في الرسالة أساسي فهو يعكس الحكم النهائي على الشخصية من الناحية الدينية على الأقل، والناس تتفاوت بين الجنة، وتخومها، النار، القصور...

الزمان: هو الآخرة سرمدى ، وزمان النص مع ذلك مرّن فهو يحتفظ بالصلة قوية بين الحياة الأولى والحياة الأخرى، حيث نلاحظ أن رغبات أبي ذؤيب وتجاربه في الحياة تشرط رغباته وتجاربه في الآخرة، وهو أيضا كالمكان خيالي حيث يجمع أشخاصا عاشوا في فترات متباعدة!

الشخصيات:

هي في النص:

ابن القارح الذي هو الشخصية الرئيسية في الرسالة، وهو معاصر للمعري، وقد كتب رسالته التي منها النص ردا على رسالة منه. وسبب رسالة ابن القارح كما صرح هو نفسه هو حديث سمعه أنه ذكر في مجلس به أبو العلاء فقال: أعرفه خيرا، هذا الذي هجا الوزير أبا القاسم الحسين بن علي المغربي! وكان هذا الوزير ولي نعمة ابن القارح. وشخصية ابن القارح هي المحرك الأساسي للحدث في الرسالة برغباتها واهتماماتها الأدبية واللغوية، وبرغباتها الجسدية أيضا.

عدي ابن زيد الشاعر الجاهلي المعروف الذي دخل مع ذلك الجنة لأنه كان على دين النصرانية حيث كانت مقبولة قبل الإسلام. ومن أهم الملمح في شخصية عدي أنه كان رجل دولة مقربا من الأكاسرة ووزيرا للنعمان بن المنذر وقد انتهت حياته نهاية مأساوية على يد هذا الأخير. كما أنه أيضا كان من أشهر شعراء الخمر في الجاهلية! ومع أن هذه التفاصيل لا ذكر لها تقريبا في الرسالة إلا أن مجرد استحضار الشخصية التراثية يعيدها إلى الذهن. فلماذا إذا جعل أبو العلاء عديا رفيقا لابن القارح في الجنة؟

من جهة أخرى نلاحظ أنه تصدر عنهما نفس الأفعال والأقوال معا: يقولان، يجرعان... أبو ذؤيب الهذلي: يظهر كشاعر وكبدوي يحتلب، وقد حمل معه كل رغباته وأذواقه في الحياة الأولى إلى الجنة شأنه في ذلك شأن أغلب شخصيات القصة.

الأحداث:

جولة الشيخ ابن القارح ورفيقه، وقوفهما على أبي ذؤيب وهو يحتلب، وهو الحدث الذي يمكن اعتباره بمثابة العقدة في النص لكونه مدعاة للدهشة التي عبرا عنها بالسؤال: أحتلب مع أنهار لبن؟! ويمكن تقسيم الحدث في النص إلى قسمين قسم طبيعي: السير في الجنة، الاحتلاب... وقسم يخرق قوانين الطبيعة: خلية النحل التي تشكلت من الجوهر... وهذا النمط الأخير من الأحداث يلغي المسافة

بين الرغبة والمتحقق، بين الخيال والواقع... فالرغبة في الجنة تتحول إلى حقيقة بمجرد تبلورها في ذهن.

فنيات النص:

تتداخل في النص فنيات القص من سرد: وينصرف مولاي الشيخ.. فإذا هما... ووصف: فيكون اله خلية من الجوهر رتع ثولها في الزهر.. والحوار وهو خارجي يدور بين ابن القارح ورفيقه عدي من جهة وأبي ذؤيب الهذلي من جهة أخرى.

أما اللغة فهي عموما أقرب إلى الوضوح عكس ما هو سائد في مواضع أخرى من الرسالة حيث تكون اللغة صعبة وبشكل مقصود. وهي عموما لغة تراثية. ويمكن ملاحظة الحضور القوي لقاموس البداوة الذي يعكس مظاهر الحياة العربية الصحراوية التي هي الحياة المؤسسة في الثقافة العربية عموما.

الخيال في النص كالخيال في كل الرسالة خيال خصب وغني تمده المصادر القرآنية والدينية عموما عن الجنة وتفاصيلها ومعرفة الكاتب حول ذلك وحول مختلف المواضيع التي يطرقها في الرسالة. ونلاحظ توظيف الكاتب هنا لبيت أبي ذؤيب والصورة فيهما. بل إن هذه الصورة القائمة على تشبيه حديث محبوبة الشاعر باللبن الممزوج بالعسل، وهو من الناحية البلاغية تشبيه بليغ، هي الموضوع الأساسي في النص. وهي تسمح بطرح تساؤلات حول الصورة الشعرية وعلقة المتشابهات فيها... ونلاحظ كذلك أن الشاعر استدعى في الجنة المشبه به ولم يستدع المشبه، وإذا فالمشبه بالشيء ما زال أيضا هنا لا يقوى قوته... بل إن المشبه به يبقى هو المثال.

وينتهي النص والمقابلة بهذا الاقتباس القرآني من سورة الأعراف الآية 43 : وقالوا الحمد... وهو اقتباس يعطي للصورة مشروعيته وواقعيتها بسلطان النص القرآني. ومن الملفت أن أول الآية "المحذوف": "وَ نَزَّ عُنَا مَا فِي صَدْرِهِمْ مِنْ غَلِّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ..."

فهل كان هذا إشارة إلى الغل الذي يبدو أن ابن القارح يحمله للمعري؟ ويمكن ملاحظة السجع في أكثر من موضع من النص: (أحتلب مع أنهار من اللبن؟ كأن ذلك من الغين!) (فاجتني ذلك أبو ذؤيب، ومزج حليبه بل ريب) وقد لعب استخدامه باقتصاد دورا مهما في موسيقية النص وتطريبته

قضايا مضمونية

يتداخل الشكل والمضمون في النص بصورة مدهشة، خاصة أن المضمون الأساسي في النص هو هذه اللوحة القائمة على الصورة الشعرية في بيتي أبي هذيل، وهي قضية شكل تثير كما أسلفنا إشكالية الخيال الشعري وعلّفته بالواقع، لكنها تتجاوز ذلك لتطرح بصورة غير مباشرة مسألة الخلق الفني عموما أو على الأقل تدق تلك الأبواب بطريقة ما كما طرقها آخرون.

رأت عائشة عبد الرحمن محققة الرسالة في هذه الرحلة الأخروية المتخيلة انعكاسا لرغبات أبي العلاء المعري الأرضية التي لم يستطع التخلص منها، وصدى لصوت جسده الذي لم يستطع أن يسكته. لكن من المستحيل أيضا أن لا نرى فيها النقد الخفي الموجه إلى ابن القارح الذي لم تكن رسالته هو أيضا ولا بواعثها ودية. ونحن نلاحظ في النص أن حديث الخمرة واللذات حاضر بقوة في الرسالة كما لاحظنا اختيار عدي بن زيد كرفيق لابن القارح في نزّهته، وهو كما نعرف أحد أشهر شعراء الخمرة في الجاهلية. وفي

الحقيقة يمكن القول إن ابن القارح يحمل في الرسالة شخصية مزدوجة فهو من ناحية يمثل أبا العلاء في إلحاحه على القضايا الأدبية

واللغوية وبحثه عن مصائر الشعراء... لكنه أيضا يمثل شخصية مسكونة بحب الذات كما يمكن أن نفهم أن أبا العلاء يرى خصمه ومراسله. وفي الحقيقة تحمل الرسالة ومختلف نصوصها رسائل كثيرة أدبية ولغوية واجتماعية وفلسفية ودينية وأخلاقية... لكنها في الغالب رسائل غير مباشرة بل أحيانا مشفرة.

يمكن أن نقول في ختام هذه الإضاءات على هذا النص العلني إنه نص ثري وشفاف، ويسمح بالكثير من القراءات والتأويلات، كما أنه يمثل نموذجا من أكثر نماذج القصص القديم تركيزا وكثافة، عند واحد من أكبر رواد الكتابة "الملتزمة" في تراثنا الأدبي.

أسئلة ونشاطات

- 1 - ما هي قراءتك الخاصة للنص؟
- 2 - هل يمكن أن تقارنه بنصوص قصصية حديثة قرأتها؟ ما هو الفرق الجوهرى في رأيك بينهما؟
- 3 - هل يمكن أن تجد صور بلغية أخرى في النص؟ كناية مثل؟
- 4 - هل يتسق النص شكلاً ومضمونا مع ما تعرف عن أبي العلاء؟ ما هي الملمح التي تجسد الشخصية العلنية أكثر من غيرها في النص حسب رأيك؟
- 5 - الماضي هو الزمن الطاعى في أفعال النص، لماذا؟
- 6 - قطع البيت الأول وسم بحره
- 7 - أعرب في البيت الأول الجملة: لو تعلمينه، والكلمة جنى، وفي البيت الثاني الكلمة مطافيل، لماذا كرر الشاعر هذه الكلمة في رأيك؟

